

روح المعاني

إن الله يرزق من يشاء من عباده أن يرزقه بغير حساب .

73 .

- تقدم معناه والجملة تعليل لكونه من عند الله والظاهر أنها من كلام مريم فحينئذ تكون في محل داخله تحت القول وقال الطبري : إنها ليست من كلامها بل هي من كلامه تعالى إخبارا لنبيه صلى الله عليه وسلم والاول أولى وقد أخرج أبو يعلى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن فاطمة فقال : يا بنية هل عندك شئ آكله فاني جائه فقالت : لا والله فلما خرج من عندها بعثت اليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضعت في جفنة لها وقالت : لأوثرن بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ومن عندي وكانوا جميعا محتاجين إلى شعبة طعام فبعثت حسنا أو حسينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : بي أنت وأمي قد أتى الله بشئ قد خبأته لك قال : هلمي يا بنية بالجفنة فكشفت عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزا ولحكا فلما نظرت اليها بهتت وعرفت أنها بركة من الله تعالى فحمدت الله تعالى وقدمته إلى النبي فلما رآه حمد الله تعالى وقال : من اين لك هذا يا بنية قالت : يا أبتى هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله سبحانه ثم قال : الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة مساء بني إسرائيل فانها كانت إذا رزقها الله تعالى رزقا فسئلت عنه قالت : هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ثم جمع عليا والحسن والحسين وجمع أهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة رضي الله تعالى عنها على جيرانها هذا ومن باب الإشارة في الآيات يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين نهى عن موالة المؤمنين الكافرين لعدم المناسبة في الحقيقة ولفرق بين الظلمة والنور والظل والحرور والولاية تقتضي المناسبة ومتى لم تحصل كانت الولاية عن محض رياء أو نفاق والله تعالى لا يحب الرائي ولا المنافقين ومن هنا نهى أهل الله تعالى المريرين عن موالة المنكرين لأن ظلمة الانكار والعياذ بالله تعالى تحاكي ظلمة الكفر وربما تراكمت فسدت طريق الايمان ومن يفعل ذلك فليس من ولاية الله تعالى في شئ معتد به إذ ليس فيه نورية صافية يناسب لها الحضرة الالهية إلا أن تتقوا منهم تقاة فحينئذ تجوز الموالة ظاهرا وهذا بالنسبة للضعفاء وأما من قوى يقينه فلا يخشى إلا الله تعالى ويحذركم الله نفسه أي يدعوكم إلى التوحيد العياني لئلا يكون خوفكم من غيره وإلى الله المصير فلا تحذروا إلا إياه والاكثرون على أن هذا خطاب للخوارج العارفين إذ لا يحذر نفسه من لا يعرفه

وقد حذر من رونهم بقوله سبحانه : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله قال إبراهيم الخواص :
علامة الخوف في القلب دوام المراقبة وعلامة المراقبة التفقد للاحوال النازلة قل إن تخفوا
ما في صدوركم من الموالة أو تبدوه يعلمه الله لأنه مع كل نفس وخطرة ويعلم ما في سموات
الارواح وأرض الأجسام والله على كل شيء قدير فلا يشغله شأن عن شأن ولا يقيدته عن مظهر يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء لأن كل ما يعمل الإنسان أو يقوله ينتقش
منه أثر في نفسه ويسطر في مصحائف النفوس السماوية إلا أنه لا شغاله بالشواغل الحسية
والادراكات الوهمية والخيالية لا يرى تلك النقوش ولا يبصر هاتيك السطور فاذا تجرد عن عالم
الكثافة بصر ورأى وشاهد ما به قلم الاستعداد جرى فاذا وجد سوءا تود نفسه وتتمنى لو أن
بينها وبينه أمدا بعيدا لتعذيبها به ويحذركم الله نفسه كرره تأكيدا لئلا يعملوا ما يستحقون
به عقابه والله رءوف بالعباد أي بسائر فلهذا حذرهم